حوار ممكن.. وانفراج متوقع

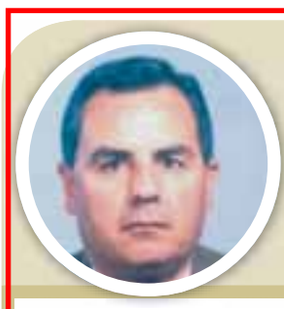

جورج علم
كاتب لبناني

يسعى رئيس المجلس النيابي نبيه بريّ إلى حوار وطني، يهندس شكل الطاولة، يريدها مستديرة لينطلق نقاش متكافئ ما بين «تيار المستقبل»، و«حزب الله»، للتفاهم على خريطة طريق تحمي لبنان من الإرهاب والتطرف، وتعيد التوازن إلى مؤسساته الدستوريّة.

وفي زحمة انشغاله بترتيب الأجواء المؤاتية مع رئيس كتلة المستقبل النيابية فؤاد السنيورة، بادر مندوب السعودية الدائم لدى الأمم المتحدة عبدالله المعلمي إلى مطالبة مجلس الأمن بوضع «الحزب» على قائمة المنظمات الإرهابيّة، الأمر الذي ترك علامات استفهام في بيروت حول مستقبل الحوار، والجدوى منه في ظل الأجواء المستجدة، وجرت اتصالات مع الرئيس سعد الحريري الموجود في الرياض، وكان الجواب بأن الموقف السعودي ليس موجّها ضد الحوار، وربما أملته حالة استنهاض للإمساك ببعض مفاصل ما يجري على مستوى المنطقة.

كانت تنتظر الرياض تبدّلا في السياسة الإيرانيّة تبدأ من اليمن، مروراً بالعراق، وسوريا، وصولاً إلى لبنان، الدور الذي لعبه الرئيس العراقي فؤاد معصوم بقي ناقصاً، زار المملكة، وكاد أن يكمل، إلاّ أن طهران لم تفتح أبوابها، كانت منهمكة في مفاوضاتها مع المجموعة (5+1)، وكان في مسقط الخير اليقين، الاجتماعات المكثّفة التي عقدها جون كيري مع نظيره الإيراني محمد جواد ظريف بحضور ممثلة الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون، أدت إلى نقل الملف إلى فيينا، راعي الاجتماع، وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي لعب دور كاتم الأسرار، وبدلاً من أن يمر بالقمة الطارئة لدول مجلس التعاون في الرياض، تعمّد الغياب، وطار إلى لندن ليلتقي مراراً عدّة بالوزير كيري، ويبقى على مقربة من المفاوضات النووية.

ما يجري لا يتعلّق بالماضي، بل بالحاضر والمستقبل. دول المنطقة أمام صفحة جديدة، إما تسويات على نار هادئة، أو استسلام جديد للفوضى الخلاّقة، وتحت شعار مكافحة الإرهاب، وترتيب العلاقة ما بين إيران والمجموعة الدوليّة، تنفّذ خطط، وتطبّق استراتيجيات، وفي كنف هذا الغموض بادرت السعودية إلى عقد قمة لترتيب البيت الخليجي، وأوفدت وزير الحرس الوطني الأمير متعب بن عبدالله ليقابل الرئيس باراك أوباما، فيما تنقّل الأمير سعود الفيصل ما بين باريس، وموسكو، وفيينا، ولندن لمتابعة الحراك الدولي، تجاه المنطقة وشجونها.

الوضع في اليمن مقلق، والدور الذي يلعبه الحوثيّون أكبر من قدرتهم، وإمكاناتهم، ولم تعد المسألة الأمنية هي الشغل الشاغل، بل المخططات التي ترسم لبابِ المندب، والسيناريوهات التي قد تجعل المستحيل ممكناً. لم تتدخل واشنطن لحسم الموقف على غرار ما كانت تفعل ضد تنظيم «القاعدة»، وهذا ما ترك علامات استفهام حول ازدواجيّة المعايير، وكيف يحصل كلّ هذا إن لم تكن هنالك أوراق متداولة تحت الطاولة الأمريكية - الإيرانية؟!.

الوضع في العراق غير مريح، كان هناك دعم واضح للطيف السنّي، ردّا على سياسة نوري المالكي. الآن انتهى زمن المالكي، وانتهت المناطق السنيّة إلى أحضان «الدولة الإسلاميّة في العراق والشام - داعش»، واستدعت الوقائع الميدانيّة على الأرض حضور رئيس هيئة الأركان العامة للجيوش الأمريكيّة الجنرال مارتن ديمبسي إلى بغداد وأربيل للبحث في كيفيّة الإمساك بزمام الأمور. شجّع الرئيس فؤاد المعصوم على تنسيق الجهود مع الملك عبدالله بن عبد العزيز لمواجهة الإرهاب، لكن ماذا عن إيران صاحبة المصالح والأدوار المتشعّبة؟، إن تجاوبت فهي ستفعل بالتنسيق والتشاور مع واشنطن، وليس وفق الأجندات الخاصة ببعض دول المنطقة؟!.

الوضع في سوريا غير مريح، جاء الموفد الدولي ستيفان دو ميستورا لـ«يكحلها، فعماها»، تحدّث عن مناطق يحكمها بشّار الأسد، وأخرى تحكمها الجماعات المسلّحة المعارضة، على أن يقبل الجميع بوقف الاقتتال لعامين؟!. هناك غموض متعمّد من أجل أن يرسم الحل لاحقاً وفق قدرات الأطراف على التنازل. ينطلق اقتراحه من غياب المركزيّة، وتعدّد القوى، بحيث يحكم النظام المنطقة التي يسيطر عليها، فيبقى الأسد رئيساً في دمشق، وتشاركه المعارضة في الحكومة، ويُدير الجيش الحر مناطقه، والقوى المقاتلة الأخرى في مناطقها، ما يعني أن على النظام والمعارضة أن يتفقا ليس فقط في القبول بالأسد، بل أيضاً عليهما التحالف لمقاتلة «داعش»، و«جبهة النصرة»، و«أحرار الشام؟!». ما طرحه دوميستورا يقود ببساطة إلى تشطير سوريا إلى مناطق نفوذ تسيطر عليها القوى المسلّحة الناشطة ميدانيّا.

ما بعد الـ24 من الجاري ليس كما قبله، وزير الداخليّة، نهاد المشنوق، العضو في «تيار المستقبل»، يبشر اللبنانيين بأن « الآتي أعظم؟!». المشنوق الذي ينسّق مع المسؤول في «الحزب» الحاج وفيق صفا، لإنجاح خططه الأمنية، فوجئ باستئناف المحكمة الدولية الخاصة بلبنان أعمالها في توقيت ملتبس، وكأن المطلوب شدّ الساحة اللبنانية إلى دائرة الإعصار الكبير؟!. النائب مروان حماده فجّر خزّان معلوماته أمام المحكمة في لاهاي، محاولاً تحميل الأسد، وحلفائه في بيروت، مسؤولية اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وكأن المطلوب حشر «حزب الله» في الزاوية.

لا يريد «الحزب» افتعال «7 آيار جديدة؟!». الرئيس برّي ما زال واثقاً بالحوار، الرئيس الحريري لا يمكنه أن يرفض اليد الممدودة، مهما كانت الصعوبات والذرائع. رئيس الحكومة تمّام سلام يصرّ على الانتخابات الرئاسيّة، ولم يتوان عن إصدار تعميم يقضي بمنع الاحتفالات الرسميّة بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال، «فأي استقلال في دولة مقطوعة الرأس، ممدّدة في غرفة العناية الدوليّة الفائقة؟!.

غالبيتنا لا تلتفت للمقالة إن كانت ساخرة. ووصل الأمر بكاتب جاد ينتقد الأداء الرسمي الأردني أن كتب مستنكرا اتصال «مسؤول» به لينصحه بالتخفيف من نقده، أو أن يكتب بأسلوب ساخر! فما كان من كاتبنا الجاد حامل الدكتوراه وإرث من القضايا الوطنية المحقة والصراحة والتجهم الذي قيل إنه خاصية أردنية، إلا أن كتب مستنكرا ما طُلب منه في مقالتين وليس في واحدة..وقد يستمر حتى يتمنى المتصل لو لم تلده أمه!

لنفعها كوسيلة تقية أصبحت السخرية وسيلة لقول الممنوع في عالمنا العربي كله. وليس حديثا بل لأجلها جرى اختراع شخصية جحا في تراثنا، وجرى التوسع في قصص أبي نواس وتحديدا مع هارون الرشيد والسيدة الأولى زبيدة، منذ قرون ننعم فيها بالقمع والحاكم المنزل الذي كان سيزعم أن التنزيل جرى عليه لولا أن الله الأدرى بعباده أغلق باب التنزيل بعد سيدنا محمد.

الكاتب الأردني يوسف غيشان، الساخر بطبيعته وبموهبته الاستثنائية التي تنفي عن الأردنيين (مع موهبة بضعة آخرين) صفة التجهم، لم يملك حتى وهو يتحدث في غضبة انحياز للعقل وللعلم، إلا أن يكون ساخرا.. فيما جد غيره من زاعمي الجدية «المميتة» يبدو هزلا غير لائق يتوجب التوقف عنه احتراما للعقل الذي ميز به الله البشر عن بقية الكائنات. كاتبنا يسخر من مقولة «نجا بأعجوبة» التي تتكرر تحديدا بخصوص كبار الساسة الذين تجري محاولة اغتيالهم ، متسائلا: «هل توجهت الرصاصة الى صدره، لكن الطبيعة عبثت بقوانينها وحرفت مسيرتها الى صدر المرافق؟ أم أن الطبيعة تجاوزت قوانينها بطريقة أخرى عن طريق إبعاد المذكور أعلاه عن مسار الرصاصة؟»..

ذاكرا أن ما يجب أن يقال هنا أنه «تمت محاولة اغتيال فلان بن علان لكنها فشلت بسبب عدم دقة القناصين أو فساد المتفجرات أو نجاح القوى المدافعة عن المذكور في صد الهجوم»!

الكاتب أراد تذكيرنا بمقولة ليوناردو دافنشي قبل 500 عام «الطبيعة لا تخرق قوانينها» ، والتي لم ينصت لها أحد حينها فلزم انتظار انقشاع غمامة الخرافات بالثورة العلمية التي حققها كوبرنيكس وإسحق نيوتن.. ويضيف أن «مستر كوبرنيكس لم يأت بجديد، لكنه كرر ما قالة ارستاخوس اليوناني قبل ولادته بـ 1800 عام حول دوران الأرض حول الشمس، لكن ارستاخوس لم يصدقه أحد» في مجتمع عبودي قائم على عبادة الألهة المتعددة والعنف المبرر باقتتالها.. ونضيف أن ذات مبررات العنف الدينية قد عادت في ظل حكام يُزعم أن بقاءهم مؤبد لأن نجاتهم مضمونة بأعجوبة، فيما يؤكد كاتبنا: «ليس هناك أعاجيب يا جماعة، ولا أحد متفرغ لإنقاذ القادة الكبار والمشكلة أنه-على الأغلب- لا ينجو سوى الفاسدين والقتلة، بينما (لا تتدخل) الطبيعة لإنقاذ قادة الشعوب المخلصين وتتركهم ضحية ووليمة لعزرائيل ومسيو أوباما ومن لف لفّه»!

ختم النبوة ينهي عصر المعجزات التي خص بها الله الأنبياء، ويطلق عصرا جديدا للكون كله هو عصر العلم و«العقل» الذي كرّسه الإسلام باعتباره القيمة الأولى حد أن رفض قطعيا وبصورة زاجرة إجبار البشر على الإيمان ذاته إن لم يقدهم عقلهم إليه، وحض على العلم وأشاد بالعلماء.

ولكن بدل أن نتابع إطلاق العقل والعلم الذي مثله الإسلام، بات إعمال العقل في أي شأن بدءا بالديني وانتهاء بالسياسي في قمة الممنوعات. وتوطن ذلك المنع احتلاليا في الشأن السياسي ووظفت له كل قوى القمع،ما حقق لتغييب العقل «استقرارا» تسميه الأنظمة العربية «أمنا وأمانا» تمنّ به على شعوبها! حال يذكر بسكتش للأخوين رحباني حيث تقول ال«نحن» الحاكمة للمواطن «إنت لا تفكر إحنا بنفكر عنك»..وانتهينا لحالات بلغت أن يفكر مجانين أو خرفون عنا! ومن يفلت من حاكم مجنون أو خرف، يقع فريسة شيخ أو داعية ينصب نفسه رسولا بزعم أنه خليفة الرسول ويأتينا بما يناقض ما نزل على آخر الرسل صراحة ،وويل لمن يصححه بالعقل!والناجون من الشيوخ والخلفاء حملة السكاكين والسيوف لإكراه الناس على أن يؤمنوا «بهم» خلفاء للرسول (ذبحوا من أعلنوا إسلامهم دونما حتى زعم الشق عن صدورهم بل كتكتيك سياسي-عسكري ضد قوم الأخيرين)، يتلقفهم مجنون يرى في نفسه المنقذ المنتظر نوره ليقشع «ظلامية» هؤلاء!

المطلوب وباستعجال هو هيئة مجتمع مدني عربية ذات فروع أو نظائر قُطرية تقوم بهدف «التنوير» الذي جوهره احترام العقل والدفاع عنه، تتولى تدقيق ما يصدر عن مسؤولين وقادة رأي ومفتين ووعاظ لبيان حالات غياب العقل والمنطق السليم. وليتقدم من يظنون أن الإسلام نقيض العقل ليقولوا هذا صراحة لعامة المسلمين وليتيحوا لعامة المسلمين إعادة تصنيفهم. فما يجري الآن هو تجبّر عند المقدرة المطلقة وتستر بزعم التقية عند عدم اكتمال تلك السلطة المطلقة، الحكام يتسترون بزعم سطوة الشيوخ والشيوخ بزعم سطوة الحكام..تقيّة تنتعش في ظلها الوصولية والانتهازية غير المنضبطة بضوابط خُلق أو دين ،والدليل عليها أنها لا تخجل من تسفيه عقلها اختياريا..أي «استحمار» نفسها بنفسها!

توجان فيصل
كاتبة أردنية

قوانين الطبيعة.. نواميس الخلق

بظهور الدكتور محمد البرادعي بعد اختفاء استمر خمسة عشر شهراً، صار مطلوباً منا أن نخرج لاستقباله بـ«الطبل البلدي»، على قارعة الطريق، ومن لم يفعل فإنه يضيع «فرصة ذهبية» لعودة «وحدة الثوار»!.

لقد نطق البرادعي بعد صمت، بما يؤكد أنه ليس راضياً عما يجري في مصر، وفي جامعة «هارفارد»، ورداً على سؤال لسائل قال إن «مصر كانت على شفا حرب أهلية» في عهد الرئيس محمد مرسي. وذلك ليبرر موقفه الذي مكن خصوم الثورة من أن يزنوا بها. ولا يكون مسموحاً لنا أن نوجه نقداً له ولدوره، ومن ينتقده بشطر كلمة، يستحق الويل والثبور وعظائم الأمور، باعتباره المسؤول الأول عن تشتيت شمل الثوار!.

أضع النقاط فوق الحروف وأعود بالقارئ لسنوات خلت عقب عودة البرادعي لمصر، في زمن المخلوع، وكيف أنني كتبت ست مقالات هنا في «الراية» عن هذه «العودة المباركة»، ودفاعي عنه، لم يكن في مواجهة رجال نظام مبارك فحسب، ولكن أيضاً في مواجهة أصدقائه، الذين سعوا لتأميمه لصالحهم، ولما لم ينجحوا قاموا بالهجوم عليه، من أمثال الدكتور حسن نافعة، وقد كتبت مقالاً حمل عنوان: «البرادعي والذين يبغونها عوجاً».

وعندما قامت الثورة، كان هو الوحيد الذي لو ترشح للرئاسة، لأيدته، وشاركت في الدعاية له، لكنه انسحب من المشهد، كعادته، بعد أن وجد حلفاؤه السابقين، أن بإمكانهم بعد سقوط مبارك، أن يتخطوا الرقاب، ويقدموا مرشحيهم. وبعد نجاح الرئيس مرسي كنت أرى أنه الأنسب لمنصب رئيس الحكومة، لأن بعلاقاته بالغرب ولمكانته الدولية، بإمكانه أن يطمئن الدوائر الغربية، وأن يعزل الجيش عن الحكم، ولهذا كان هو الوحيد الذي لم يدع بعد الثورة لاجتماعات المجلس العسكري، فقد ورث هذا المجلس كراهيته من زعيمهم مبارك، وكانوا يعلمون أكثر من غيرهم خطورته عليهم.

الإخوان، لم يعرضوا عليه رئاسة الحكومة وإن أشاعوا أنهم عرضوها عليه وأنه طلب صلاحيات أكثر في رواية، وأنه اعتذر في رواية أخرى. ودوره بعد ذلك المتآمر مع أحزاب الأقلية ضد الحكم المنتخب كان مدفوعاً بالانتقام لتلاعب الإخوان به.

لقد طويت أنا صفحة البرادعي مبكراً، عندما ذهب من ينتمون للقوى المدنية، للمقر العام لجماعة الإخوان المسلمين، قبل الانقلاب، وقاموا بالاعتداء على من فيه. وفي هذا اليوم والدماء تنزف، انتظرت أن يخرج البرادعي بتغريدة، دفاعاً عن الدم لكنه لم يفعل، وطلبت ذلك منه صراحة على صفحتي على «الفيس بوك»، وهو الذي عودنا على أن ينتفض كلما رأى دماً، وباعتبار أن الدم المصري كله حرام!.

عندها تبين لي أن الرجل صار، بكل هيلمانه الدولي، يمارس السياسة وفق نظرية «كيد النساء»، ورأينا كيف أن البرادعي المنحاز للحكم المدني، يرفض طلب الرئيس المنتخب من قبل الشعب باللقاء به، ويوافق على دعوة وزير دفاعه بلقاء القوى المدنية المختلفة مع الرئيس، في اللحظة التي أطلقت فيها الدعوة، على قاعدة «دعاني لبيته». وكان في هذا يخصم من شرعية الرئيس لتقوية نفوذ المؤسسة العسكرية في الحكم!.

لقد بدا البرادعي والأحزاب المتحالفة معه، أن لديهم استعدادا لأن يذهبوا للقاء عبد الفتاح السيسي محلقين ومقصرين، لكن الرئيس محمد مرسي ألغى اللقاء، ولم ينتبه الرئيس إلى خطورة الدعوة، وإلى معنى توجيهها وقبول خصومه بها، وترك وزير الدفاع بدون محاسبة، لثقته بأنه ما دام قادرا على إلغاء الدعوة، فقد انتهى الأمر. وهي الغفلة التي أوردت الثورة مورد التهلكة، والتي نتج عنها ما نحن فيه الآن من انقلاب على المسار الديمقراطي، وعودة نظام مبارك!.

البرادعي لم يكن من أهل الغفلة، فقد كان يعرف ماذا يفعل، ولا أذيع سراً إذا قلت أن البداية كانت هو، فهو من ذهب لمحمد حسنين هيكل في منزله، وطالبه بما له من علاقة بوزير الدفاع عبد الفتاح السيسي، أن يدفع به للانقلاب، مع توفير الغطاء المدني له، وبعد ذلك ظل باعترافه ستة شهور، يقنع الأوروبيين بقبول مبدأ الانقلاب على الحكم المنتخب، وقد وفق بعد جهد جهيد!.

بيد أن غفلته في أنه تصور أن العسكر يمكن أن يقوموا بالمهمة لصالحه، فيسقطوا الإخوان بقوة السلاح، ليسلموا الحكم لأحزاب الأقلية وينصرفوا في أمان، فما فاته هو ما قاله هيكل لمقربين له: «لم يكونوا يعلمون أنهم يطلبون مني استدعاء وحش». والذي استغلهم ليصبح هو رئيساً، ويضن حتى على هذه الأحزاب بمقابلته، وشلح وزراء جبهة الإنقاذ، بعد قيامهم بدور التابعين غير أولي الإربة!.

البرادعي إذا تنفس! (2-1)

سليم عزوز
كاتب وصحفي مصري
selimazouz@gmail.com

يومية سياسية مستقلة
صدرت في 10 مايو 1979

عن شركة الخليج للنشر والطباعة
الدائري الثالث منطقة الهلال ص. ب: 533
المبنى يضم الادارة والاعلانات وصحيفتي الراية والجلف تايمز الانجليزية
برقيا: الراية فاكس المؤسسة 44438571

رئيس التحرير
صالح بن عفصان العفصان الكواري

مدير التحرير
صادق محمد العماري

جميع المراسلات الخاصة بالتحرير توجه إلى رئيس التحرير ص. ب: 3464 الدوحة- قطر

هواتف أقسام التحرير
رئيس التحرير:
هاتف: 44371353 - 44466599 - فاكس 44350476
مدير التحرير: هاتف529-44466
قسم المحليات: هاتف: 44466515 - 44466514-
4466513- 44466529 فاكس: 44356326
القسم الرياضي: هاتف: 44466509- 44466510 -

44466511 فاكس: 44350472
قسم الأخبار: 4350469 - 44466506 - 44466507
القسم الدبلوماسي : 44466551 فاكس 44466550
القسم الاقتصادي: 44466508
هاتف البدالة 44466555

الإعلانات
إدارة الإعلانات: 44466618 - 44466619- 44466620
الاعلانات المبوبة: 44466607 -
فاكس الإعلانات: 44320080

الإدارة العامة
المدير العام:44466666 فاكس: 44424171
مساعد المدير العام لشؤون المطابع والتوزيع
ت44466622 فاكس: 44438571
-الشؤون المالية والإدارية: 44466633 - فاكس: 44424171
المطابع هاتف: 44600259 - فاكس: 44600630

التوزيع
هاتف: 44466636 - 44466635 فاكس: 44466637

المراسلون:
الخرطوم - نواكشوط -عمان- صنعاء
فلسطين- بيروت- باريس- برلين

مكتب القاهرة
فاطمة زكريا
77 شارع شهاب - المهندسين - الجيزة
هاتف : 0020233446580
فاكس: 0020233446538

الاشتراكات: الاشتراكات الحكومية 700 ريال للنسخة سنويا ■ للأفراد داخل دولة قطر: 700 ريال للنسخة سنويا ■ دول مجلس التعاون: 2000 ريال شاملة أجور البريد ■ الدول العربية:2200 ريال شاملة اجور البريد ■ أوروبا وأمريكا وباقي العالم: 5300 ريال شاملة أجور البريد

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها فقط ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة